كثيراً ما تنشب الخلافات والنزاعات في الأسر، وخاصة الناشئة منها، وذلك بسبب القيم المختلفة _كما أسلفت- والعادات والتقاليد الأسرية، واختلاف النظرة إلى الحياة وغاياتها، وتباين الرأي حول تربية الأولاد، أو الغيرة من تصرف أحد الزوجين، أو فقر الزوج وعجزه عن تحقيق أحلام الزوجة.. أو غيره من الأسباب، التي يتعذر رصدها وتعدادها، لذلك اشترطت، في كثير من الأحيان، شروط لعقد الزواج، لعل من أهمها، الكفاءة في كل من الزوجين للآخر، أي كونه كفؤاً له مادياً ومعنوياً.. وذلك تلافياً لوقوع مثل تلك النزاعات و الشقاقات، وهذا –لاشك- من أهم سبل علاج هذه المشكلة قبل وقوعها، كأنه إجراء وقائي مسبق، وقد أشار الرسول (ص) إلى شرط آخر، وهو شرط تدين المرأة وحسن خلقها: فقال: "تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك!"

وقال محذراً من الانخداع بالحسن والمظهر الخارجي [١] : "إياكم وخضراءَ الدّمَن"[٢].

وأوصى بالنساء خيراً، وبالصبر عليهن، والإغضاء على اعوجاجهن، وهذا من طرق العلاج بعد الزواج، ووقوع المحذور!

ودعا الله تعالى، أيضاً، إلى تحكيم حكمين: واحد من أهل الزوج، والآخر من أهل الزوجة، يبحثان أمر الخلاف والشقاق، ويصدران حكمهما فيه، ملزماً المتجانف منهما بالعودة إلى الجادة الصواب، وقد يصل الأمر إلى القاضي، فيحكم فيه موفقاً بين الزوجين المختلفين أو مفرقاً بينهما، وأهل كل من الزوجين يلعبون في التوفيق بينهما، أو التفريق والاختلاف، أكبر الأدوار وأشدها أثراً فكثير من حالات الطلاق أو الوفاق بعد شقاق ونزاع، يكون وراءها الأهل والأقارب..

ومن سبل العلاج أيضاً، أن تتريث المحاكم في قبول دعاوى الطلاق، وفي إيقاعه بين المختلفين، وعليها اتخاذ كافة سبل الإصلاح والتوفيق.. قبل ذلك، وأتصور أنه يمكن إحداث مؤسسات خاصة، لمعالجة الخلافات الزوجية، ودراسة المشكلات الطارئة، وإيجاد الحلول الملائمة، وذلك برعاية الدولة وتخطيطها، وكذلك يمكن للدولة أن تقوم بحملات توعية وتثقيف، في هذه الناحية، عبر وسائل الإعلام المتنوعة، كأحد سبل المعالجة أيضاً..

V. علاج مشكلة الجهل والتدين الخاطئ:

لقد سبق أن تناولنا، بالبحث، علاج مشكلة الجهل والتدين الخاطئ، عندما بحثنا أسباب ظاهرة التصعلك وفروعها، وعلاجها، فليرجع إليه من يشاء.

السُّكْر والخَدَر

فرز ووصف: وردت كلمة السُّكر – بضم السين وسكون الكاف- في بيت شعر للمتنبي:

إذا كان الشبابُ السَّكرَ والشيـ... ...بُ هماً، فالحياة هي الحمام

---

١ متفق عليه

٢ تتمة – قيل: يا رسول الله، ما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء. إتحاف الأنام.. الخطبة ٢٩٣

فما هو السكر؟ في المنجد: سَكِرَ يَسْكَرُ سَكَرَاً وسَكْراًوسُكْراً وسُكُراً وسَكَراناً من الشرابَنقيض صحا، والسَّكر: الخمر، قال تعالى[١]: ((ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً)) وسُكارى جمع سكران وسكرى، قال تعالى[٢]: "وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد"

أما الخَدَرُ، فهو –في المنجد– مصدر خَدِرَ يَخْدَرُ العضو إذا كسل وفتر وثقل، والخَدَرُ طبياً: التشنج يصيب العضو فيشله عن الحركة، وكلمة الخدر وردت بمعناها الشائع في هذا العصر، في جملة من الشعر الحديث، أو شعر التفعيلة، لنزار قياني عقب نكسة حزيران عام ١٩٦٧م، ينتقد فيها أبناء الشرق، وينعى عليهم تخلفهم:

يحملون الخبز.. والحاكي.. إلى رأس الجبالْ!

ومُعَدّات الخَدَرْ!

ما الذي يفعله قرص ضياءْ

ببلادي، بلاد الأنبياء والبسطاءْ!

ما ضغي التبغ، وتجار الخَدَرْ!

وكلنا –لاشك– قد سمع الكثير عن المخدرات وأنواعها، كالحشيش والأفيون والقات والكوكائين والهيروئين والنوفالجين... وعن منعها ومحاربتها في أكثر المجتمعات، وعن حوادثها وضحاياها حتى اليوم، وعن عصاباتها وتجارها، وعن الفرق والجماعات التي تتعاطاها...الخ.

ولعل أكثرنا، عرف عن كثب، أو بالتجريب والاختبار أنواعاً من تلك الخمور (المسكرات)، والمخدرات.. ووقف على قضية التدرج في تحريم الخمر في الإسلام، فقد أشير إلى الخمر بالذم أولاً، ثم حُرمت –كما في الآيات التالية: ((ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون))، [٣]، ((يسألونك عن الخمر والميسر قل: فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما))، [٤] ((إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر..))، [٥]، وسَمِعَ بالحديث الذّي يُروى عن الرسول (ص)، بصدد تحريم بقية المسكرات والمخدرات ذات المفعول القليل أو الكثير: ((كل شراب أسكر فهو حرام))[٦]، وسمع –كذلك– بالحديث الذي معناه: أن الخبائث جُمعت كلها في حجرة، وجعلت الخمر مفتاحها!

وإن الله تعالى لعن الخمر وشاربها وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها ومشتريها[٧]..الخ.

---

١ النحل ٦٧
٢ الحج ٢٢
٣ النساء ٤٣
٤ البقرة ٢١٩
٥ المائدة ٩٠-٩١
٦ متفق عليه
٧ انظر اتحاف ا لأنام.. صـ٢٣٥

ولا شك أن التحريم وقع عليها وعلى غيرها، بسبب سلسلة من الحوادث الاجتماعية المؤلمة، والقرآن يخبرنا أن الشيطان اتخذ من الخمر والميسر وسيلة لإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس وصدهم عن ذكر الله..[1]

وفي التوراة ما ترجمته: وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه [ساماً ويافثاً] خارجاً، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال: مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً لهم..

واضح من هذا النص ما أشير إليه من الموبقات والعقابيل التي تجرها الخمر وتخلّفُها حتى في أسر كأسر الأنبياء!

والتاريخ والأدب، بشعره ونثره، طافحان بأخبار السكر والعربدة.. على مر العصور – حتى في قصور الأمراء والخلفاء والوزراء.. إلا من عصمهم الله من القلة القليلة! حافلان بتلك القصص الطريفة عن مجالس الخمر وآداب الشراب، وصفات الندماء، وعن حوادث العقاب، وإقامة الحد، وغير ذلك.

وقد قرأت في (الشاهنامة) للإدريسي: أن أحد ملوك الفرس، كان قد حرم الخمر على الناس، فلما رأى، ذات يوم، أحد السكارى يمتطي سبعاً ضارياً، يحسبه ويعامله كالحمار! ضحك وتعجب من فعل الخمر! وعاد فأحل شربها: معللاً بأنها تهب شاربها شجاعة وإقداماً!!

ولكن الحوادث التي تطالعنا بها الصحف والمجلات.. كل يوم من قتل وسلب، واعتداء وانتحار.. يُعزى أكثرها إلى شرب الخمر، وتعاطي المخدرات..

ونجد معظم الدول الأوربية وغيرها تحارب وتلاحق متعاطي وتجار المخدرات خاصة وتضيق عليهم الخناق.

أما الخمر، فيلاحظ أنها تحظى بنوع من التسهيل والتساهل لدى معظم هذه الدول.. لكونها أقل خطراً من المخدر، ولارتباطها الوثيق بنمو الاقتصاد وتنشيطه، فيما يبدو!. وكما يزعم بعضهم...

ويلاحظ أن تعاطي الخمر حتى في البلاد التي تحرم بيعها وتعاطيها منتشر –سراً غالباً– بين الناس، بالإضافة إلى المخدرات، وأنواع من القمار أو الميسر، باسم التسلية والترفيه.. وقد أدى المنع، والملاحقة غير المصحوبة بالتوعية والشرح والتعليل والإقنا.. إلى نتائج عكسية!

وإليك صوراً من تعاطي الخمر والمخدرات:

١- شلل من الشباب في الدور والمقاصف والملاهي والمنتزهات والمنتجعات المختلفة.. إذ يجتمع أفراد الشلة، في أحد هذه المواقع، أثناء الأعياد والمناسبات، والعطل الأسبوعية، أو في أوقات الفراغ، يتحلقون حول مائدة عظيمة، عليها أنواع من الأطعمة والمقبلات، والفواكه والنقل، ونوع أو أنواع

[1] الإصحاح التاسع من سفر التكوين، انظر كتاب دروس اللغة العبرية –لربحي كمال- صـ٤٥٣- الآية ٢٨ وما بعدها

من الشراب.. وقد تشاركهم في ذلك، امرأة حسناء تسقيهم وتنادمهم! وقد يكونون خليطاً من الجنسين على حد سواء!

٢- بعض الطلاب والطالبات أثناء الرحلات والنزهات الداخلية والخارجية.. إذ تتاح لهم فرص الفراغ، والتخفف أو التحلل من أعباء العمل، وأثقال المسؤولية، وإذ يشعرون بغيبة الرقابة، وفضول الاستطلاع والتجريب، ورغبة التجدد، وتغيير رتابة الحياة.. فيقبلون على الشراب واللهو والمجون..

٣- العوام من الناس الذين تراهم يملؤون الخانات و(الكازينوهات)، كل ليلة، وخاصة في العاصمة والمدن الكبيرة، وأغلبهم من المسافرين والنازحين عن ديارهم وأقاليمهم، والشاردين عن بيئاتهم وأسرهم، لأسباب اجتماعية متنوعة.

٤- أولئك الذين يتعاطون الحشيش أو غيره من المخدرات سراً، وفي الخلوات، إذ يجتمعون في خلواتهم ويديرون، فيما بينهم، لفافة أو لفائف (سجائر) محشوة بالمخدر، مشعلة الطرف، يمص كل منهم مصة منها ثم يعطيها لجاره، وهكذا..

وفي المغرب، يتعاطى عدد، ليس بالقليل، الخَدَر، فبعض الشباب يتعاطونه، في مجموعة تجلس إلى بعضها، ومع كل واحد أنبوبة من العود، مثقوبة من الداخل، ولها مغرفة بطرفها تملأ بالمخدر وتشعل، وتمص من الطرف الآخر، وقد تدار واحدة فقط على الجميع، يعمرها كل واحد، على حدة، ويمتصها، وكثيراً ما يشارك، في ذلك، الفتيات أو العاهرات منهن -على الخصوص- وهناك الذين يتعاطونه فرادى..

وفي مصر، نرى -عبر الأفلام وغيرها- كيف يتعاطون المخدر، إذ يجتمع المتعاطون زمرة في خلوة من الخلوات، يتبادلون -فيما بينهم- تلك الجوزة ذات الأنبوبة الطويلة يمص كل واحد منها مصة عميقة ثم يناولها إلى الآخر، وهكذا دواليك..

وفي اليمن، كنا نسمع ونقرأ قبل الثورة كيف يمضغون القات مضغاً.. في الحوانيت، وفي المنازل، والطرقات..

وفي سورية، شاهدت ذات مرة رجالاً يمضغون نوعاً من التبغ، ويضعون منه شيئاً تحت شفاههم لمدد معينة، ثم يبدلونه، وهكذا..

وفي المغرب، سمعت وشاهدت صوراً أشد غرابة، وأبعد أثراً ودلالة: سمعت وشاهدت أولئك الذين يشربون الكحول: كحول التطهير والاستصباح، أو نقيع الجوارب القذرة، المشبعة بعرق الأرجل، أو أظلاف وحوافر الدواب، أو زبل بعض الحيوانات.. فترى أحدهم منطرحاً على قارعة الطريق، أو على المزايل، أو في إحدى الزوايا أو منعطفات الأرصفة.. كالميت تماماً، أربعاً وعشرين ساعة أو أكثر وقد عشش الذباب، قبل أن تحققه، كومة قمامة- أو حزمة خرق بالية! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد قيل لي: أن أكثر هؤلاء هم من المعدمين الذين، لا يملكون ثمن قوتهم اليومي، بله ثمن المخدر أو الشراب.. أما الذين هم (لا بأس عليهم) كما يقولون هناك– فإنهم يأتون بالنبيذ الأحمر المسمى (الروج) Le Rouge أو الويسكي Whisky أو الشامبانيا Champagne...الخ

ويتعاطونه في مجالس لهوهم ومجونهم ولذتهم.. مع المخطيات والعشيقات، أو الغائيات والعاهرات.. في مجالس شبه دائمة ومرتبة، تسمى (مجالس التقصير)! أي: تقصير الوقت باللهو واللعب والسرور، والأكل والشرب (والجنس).س

لذلك.. فما أشد ما تسمع هذه الكلمة (التقصير) و(قصَّرَ)، و(يقصّر)، وما يتبعها من كلمات مكملات يكثر ترددها على الألسنة: كالروج، و(المكلى)، أي: الطعام، والشراب، والبنات، والعيالات أي النساء والنشاط، أي: الانغماس في اللهو والمتعة وما إليها.

الأسباب

أ– الفضول أي حب الاستطلاع والتجريب:

الحق أن ممارسة كثير من الأعمال أو العادات، –تكون في أول الأمر– استجابة لدوافع حب الاكتشاف والتجربة والمعرفة ولما كان كل من هذه الأمور، لا يتحقق ولا يتم دفعه واحدة، بل بالتدرج والتكرار.. فإن كثيراً منها يصبح –بهذا التدرج والتكرار– عادات متمكنة، قلما يستطيع الإقلاع عنها، والإفلات منها، إلا ذوو العزائم والإرادات القوية، والعقول النافذة المتبصرة.. وكذلك الشأن مع الخمر وكل مخدر، وحتى التبغ و التدخين، فالمتعاطي، أول الأمر، يبدأ مستطلعاً مجرباً في الغالب، ثم يصير مداوماً مدمناً أو –على الأقل– متسلياً بذلك متلهياً! إذ يصبح ما يتعاطاه مكيفاً لمزاجه، مزيلاً أو مهدئاً لتوتره، مكملاً لهناءته وراحته، مخيّلاً له أجواء الانشراح والسعادة! موهماً إياه نسيان الهجوم والآلام والأحزان..

ب– رواسب ومخلفات الاستعمار:

لا يشك أحد في أن تعاطي المسكرات والمخدرات، يوهن القوى، ويُمرض العزائم، ويمحق الإرادات، ويقضي على الطموحات والتطلعات، ويفسد الصحة العامة، ويوقع العداوة والبغضاء بين الأفراد والجماعات.. وقد عرف المستعمرون، على مختلف أشكالهم وألوانهم ومشاربهم، هذا السلاح الفتاك، فاستخدموه ضد الشعوب والأمم التي وقعت في قبضتهم.. حيث شجعوا وأغروا المستعمرين بفتح الميم – ولا سيما الشباب منهم، على تعاطي الخمور والمخدرات، وممارسة ألوان من اللهو والمجون، والتسلية والتلهية، فلاًّ لهممهم، وإضعافاً لإرادتهم، وصرفاً لأنظارهم وعقولهم وقلوبهم عن التفكير في معالي الأمور، كالتحرر والتقدم، والاتحاد والتكاتف، وضرورة الجهاد والمقاومة، وبناء أمجاد الوطن وإنقاذ كرامة الأمة...الخ

ولكن –لسوء حظ هؤلاء المتعمرين– وبفضل جذور الصحة والبقاء والحياة في شعوبنا وأمتنا.. هُزمت وتثلمت أسلحتهم جميعاً، ولم يبق منها غير الكيد والإيذاء، والحقد والتآمر.. كلما سنحت لذلك

فرصة، وهبت رياح، وتعكرت مياه. وغير بقية من الرواسب والمخلفات البغيضة، التي عسى أن تتنبه شعوبنا إلى خطورتها وأضرارها قريباً، فتسارع إلى إزالتها وغسلها والتخلص منها في أقصر زمن.

ج- تغاضي الدولة أو تعاميها، أو تسامحها بهذا الشأن:

لأمر ما نرى الدولة تغض الطرف -أحياناً- أو تتعامى، أو تتسامح بشأن المسكرات والمخدرات، وخاصة في المغرب، حيث يرى الرئي عدداً كبيراً من الحانات، وباعة الخمر ومروجي المخدرات أو نوع خاص منها -على الأقل يسمى (الكيف)، ويرى طائفة من الناس أغلبها من الشباب، قدْتها فتت على شراء هذي المسكرات والمخدرات، وتعاطيها علناً، في الأعم الأغلب، وذلك تحت سمع الدولة وبصرها.. ولا يتدخل رجال الدولة إلا في حالة حدوث اضطراب أو فوضى أو اعتداء السكارى على أحد من الناس.. صحيح أن الدولة تتذرع، في موقفها السلبي ذاك، بالحرية العامة وصيانة أجوائها.. إلا أن الذريعة الحقيقية -كما يبدولي- هي الاقتصاد فالمنافع الاقتصادية، التي توفرها هذه المواد الملعونة! وهي التي تعمي الأبصار، وتضلل الأفئدة عن الأضرار والأخطار، والموبقات والآثام التي تنجم عنها..

وصدق الله العظيم إذ قال، عن الخمر والميسر: ((وإثمهما أكبر من نفعهما))[1]،

وحين نؤثر النفع المادي، على الكسب الروحي والرضا الإلهي، فنحن صائرون إلى الضعف والانحطاط الصحي والخلقي، -لامحالة- وبئست عاقبة، وساءت مصيراً!

د- البطالة والعطالة: سبق الحديث عن هذا السبب، فليُطلب في موضعه، إن لزم.

هـ- الجهل والأمية:

و- التدين الخاطئ: وتحدثنا عن هذين السببين أيضاً، حين عرضنا لأسباب الطلاق، فليرجع إليهما من يشاء.

وإذا كان للبطالة والعطالة يد في شيوع آفة السكر والخدر، فإن للجهل والأمية، والتدين الخاطئ -أيضاً- أكبر وأعظم أثر في ظهور هذا المرض -السكر-، وتفاقم تلك الآفة -الخدر- وترعرعها واستمرارهما..

ز- الوراثة:

قد يرث بعض الأبناء، عن الآباء والأجداد، عادات مثل السكر والخدر، فقد ثبت أن ((العرق دسَّاس))[2]، وأن كثيراً

النتائج والعواقب

يمكن أن نحصر أهم النتائج والعواقب الظاهرة السكر والخدر فيما يلي:

A. ظهور الضعف والهزال الجسدي، والخور والخواء الروحي..

---

[1] البقرة ٢١٩

[2] كما روى عن عمر (رض): ((تزوجوا في الحجر الصالح، فإن العرق دساس)) منهاج المسلم صـ٩٢، وبما رواه الحاكم عن عائشة (ر) وصحيحه.. ((تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم)) الفقه الإسلامي وأداته صـ٦٤٩٥

يمكن، للملاحظ المدقق، أن يرى مظاهر الضعف والانحطاط والهزال، على شخوص مدمني الخمر والمخدرات عامة، ذلك أن شرب الخمور، وتناول المخدرات يقضي، أو يقلل من الشهية للطعام، شيئاً فشيئاً، بل حتى التدخين يمكن أن يفعل ذلك بالمدخنين! ويحدث اضطراباً وخللاً في تمثل الغذاء وهضمه.. وقد يؤدي ذلك إلى الترهل والسمنة والانتفاخ، وما يمكن أن يشبه أعراض المصابين بداء (الفيل)، وهي –على كل حال– مظاهر ضعف وبلادة وانحطاط، لا مظاهر قوة وعافية وتوثب.. ولعل، في انشغال المدمن أو المتعاطي للخمر والمخدر، وإنفاقه جل ماله عليها، ما يصرفه عن توخي الغذاء الصحيح المتوازن، ويحرفه عن توفير المواد الضرورية لإيجاد هذا الغذاء.

أما الخَوَر المعنوي، والخواء الروحي، فيظهران المتعاطي أو المدمن.. سأماً من تيار الحياة، وعجزاً عن متابعة الحركة الثقافية، ومواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي.. بلْهَ المشاركة فيها، فضلاً عن الخلق والإبداع..

B. السكر والخدر سبب لأمراض أخرى:

ثبتت العلاقة –طبياً بين السكر والخدر، وبين عدد من الأمراض، كالسرطان، والسل، والتشنج.. أضف إلى ذلك بعض الأمراض العقلية، كالجنون والصرع والخبل.. وستكشف لنا الأبحاث العلمية والطبية، مزيداً من العلاقات الثابتة بين كل نوع من الخمور والمخدرات، وبين مختلف الأمراض والعلل التي تحدثها، حسب درجة تعاطي كل منها ومقداره.. وسيعرف الناس أن ما نهانا الدين الإسلامي عنه، من الأطعمة والأشربة، وما أمرنا به من الاعتدال والقصد والتوسط، واعتماد العقل والحكمة والرأي والنظر في كل أمر.. هو الحق، وله السبق على طب جالينوس وحكمة سقراط، ومعرفة جميع القدماء، من الفلاسفة والحكماء والعلماء...

C. وقوع السكارى والحشاشين في كثير من المواقف المخزية، والأعمال الإجرامية الشائنة:

فالسكران أو المتخدر، نظراً لذهاب عقله، واستتاد وجدانه الأخلاقي، وإحساسه الاجتماعي –يتحول– في الغالب، إلى حيوان بليد سادر، أو إلى وحش ضار مفترس، يغتصب فتاة بريئة، أو يعتدي على امرأة شريفة، أو يزني بأخته أو أمه، أو يعتدي على بريء، أو يقتل إنساناً أو أخاً له، أو ابناً.. أو يسطو على دار، أو ينهب حانوتاً، أو يسبب اصطداماً بين سيارتين.. وقد يُرى، في الشارع، من السكر ويتتعتع، أو ينطرح على الأرض، أو يتعثر ويسقط... وكل تلك الحالات قد رأيناها، وقرأنا عنها، وسمعنا بها، ولم تعد أوهاماً، أو محض احتمالات وصدف...

D. السكر والخدر إضاعة للشباب، وتبديد للطاقة:

إن عنصر الشباب، في كل شعب وأمة، هو العمود الفقري في عملية التنمية والتطوير، والرقي والازدهار.. فإذا ما قتل السكر والخدر هذا العنصر، ضاع أمل الأمة، وتبددت طاقتها.. لأن كل إنسان فيه طاقتان: طاقة إنتاجية، وطاقة فكرية إبداعية فالمتعاطي أو المدمن للمسكرات والمخدرات، إنما يقلل، أو يمحق الطاقة الإنتاجية لديه، بصرفه طائفة من جهوده ونشاطه، وساعات من عمره، في الشرب

والتخدر.. ويقضي على الطاقة الفكرية الإبداعية عنده أيضاً، بهذا الذي يتناوله، فجحجب به عقله وإحساسه، وينصرف عن الوعي والتفكير، ورؤية ما يجري حوله، من أسباب ومظاهر التقدم والرقي، ويقود ذلك كله –بالتالي– إلى:

E. إضعاف القوة الاقتصادية:

فقد عرفنا أن صرح الاقتصاد القوي، إنما يقوم على سواعد الشباب الأقوياء الأصحاء، وأن ميدان التقدم العلمي والفكري والصناعي، إنما يعتمد على الصاحين الأسوياء، لا على السكارى والخادرين ولا الحيارى والضائعين في الحانات والملاهي والشوارع.. ولنا أن نتصور حجم الطاقات المعطلة والمهدورة.. بسبب السكر والخدر.. ومخلص إلى أن الدول المتغاضية أو المتساهلة، أو المتعامية عن مكافحة هذه الظاهرة، ومعالجتها، إنما تضعف اقتصادها وتسير به نحو حافة لهاوية، من حيث تظن أنها أرادت له النماء والثراء والقوة!

F. توهين الروابط الأسرية، والعلائق الاجتماعية:

مما لا شك فيه، أن الحوادث التي يقوم بها السكارى والمخدَّرون، من قتل واعتداء وسلب ونهب، وتحرش وقذف، وتجاوز وظلم.. يوهن الروابط الأسرية، ويفرق بين أعضاء الأسرة بالعداوة والبغضاء.. والقطيعة.. ويوهن –كذلك– العلائق الاجتماعية والإنسانية، بسبب العداوات والنزاعات، التي تنشأ بين الأسر والجماعات التي قد يحدثها السكارى والمخدرون في بعض الحالات أو المناسبات.. لأن السكران والمخدر لا يعرف غير تحقيق شهواته، وإرضاء نزواته، لا يحس برقابة عقل أو ضمير، أو دين، ولا يشعر بتبعة أو مسؤولية أو التزام.. مادام في حالة سكره وخدره.. فإذا صحا وأفاق ربما تأسف وندم على ما فرط منه، وفرَّط فيه، ولات ساعة مندم!

الحلول المقترحة أو العلاج:

أرى أن الحلول المقترحة، أو العلاج لهذه الظاهرة، يتلخص ف بالخطوات التالية:

I.VI.VII علاج الفضول وحب الاستطلاع والتجريب:

إن الفضول وحب الاستطلاع، ميل فطري أصيل لدى أكثر الناس، إن لم نقل كلهم: ذلك أن معظم المعارف تحصّل بهذا الدافع، فهو ظاهرة إيجابية، إذا أحسن توجيهها، واستعمالها ضمن حدود وشروط معقولة مقبولة، وتختلف نسبة قوة هذه الظاهرة، من شخص لآخر، ومن جماعة إنسانية لأخرى، وقد يكون الفضول وحب الاستطلاع مرذولاً كريهاً، في بعض الأحيان، كأن يحاول أحدنا حشر أنفه فيما لا يعنيه، أو يحاول مراقبة تصرفات غيره من الناس، والتجسس عليهم، واستطلاع أخبارهم وأسرارهم، التي لا يريدون إظهارها، وقد يؤدي الفضول وحب الاستطلاع إلى وقوع أزمة، أو حلول مصيبة، وقد يودي بصاحبه، أحياناً أخرى، وكم من هالك جراء الفضول وحب الاستطلاع كما تقصه علينا القصص والحكايات والأساطير.. ولعلها من المحمودة تلك التي تتعلق باكتشاف المجاهل والمناطق البكر وكل مجهول من الأمور.. وهنا قد يطيل خيالنا إلى عباس بن فرناس، الذي حاول الطيرات أول مرة فسقط من عل فدقت

عنقه، والرواد الآخرين للطيران، وكذلك، الرواد الأوائل الذين حاولوا اكتشاف العالم الجديد (أمريكا)، قبل كريستوف كولومبس وماجلان.. وقد ذمت العرب الفضول الزائد عن الحد المقبول، والرجل الفضولي، وقرنته إلى الطفيلي الذي يحضر الولائم والمآدب بلا عودة.. في حين عرفت واستعملت (العين) ضد الأعداء –أي الجاسوس– ويسمى أحياناً (الربيئة).. ولم يسمع أن أحداً ذمه وعابه.

ولا ينجح الصحفي، في مهنة الصحافة، إلا إذا كان فضولياً، محباً للاستطلاع، فالفضول القوي من ألزم خصائصه، وكذلك العالم الباحث في مجالات العلم المختلفة.. نخلص، من هذا كله، إلى القول: إن الفضول وحب الاستطلاع، محمود وضروري، لتحصيل المعرفة واكتشاف المجهول، إلا في حالات معينة، فيعد فيها مذموماً معيباً، كالتي ذكرنا من محاولة نبش الأسرار، والتجسس على الآخرين لغير ما ضرورة مشروعة كمنع جريمة، أو دفع أذية. قال تعالى:((ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً))[١].

بعد هذا الاستطراد والبسط نقول: إنه ليس من الضروري أن يجرب الإنسان، ويستطلع أشياء قد جربها واستطلعها كثيرون قبله، وقرروا نفعها وضرها، ومازوا خيرها من شرها، وظهرت نتائجها واضحة للعيان مثل الشمس، كشرب الخمر، وتعاطي المخدرات ولعب الميسر، والتدخين، وأكل لحم الميتة...الخ

وإذا كان لا بد من الاختبار بالنفس، والتجريب والتعرف بالذات، فليكن، شريطة الحيطة والحذر، وعدم الاسترسال والانسياق والإدمان، وعدم تمكين العادة من النفس، وتأصيلها فيها، لأنه متى تمكنت العادة من الإنسان، أصبح عبداً لها، وهي إلهه. قال تعالى: ((أفرأيت من اتخذ إلهه هواه، وأضله الله على علم؟))[٢]هذا، وإن كثيراً من المحرمات في الدين، لا تحتمل الاختبار والتجريب، بل تؤخذ على أنها مسلمات، مثل نكاح الابن أمه أو الأخ أخته.. ومثل أكل لحم الخنزير، ولحم الميتة، وشرب الخمر...الخ.

II.VI.VII علاج رواسب ومخلفات العهد الاستعماري:

إن هذا العلاج –في نظري– يكمن في عدة أمور، منها: –إعادة النظر– مراراً، في أنماط سلوكنا وتصرفنا، ونقدها نقداً ذاتياً دقيقاً، محكمين، في ذلك، مبادئ العقل والمنطق وأحكام الشريعة ومبادئ الحكمة، ومكارم الأخلاق– غربلة جميع ماوردنا، وما يزال يردنا، من نظريات وفلسفات وآراء وأفكار.. على ضوء ما لدينا، من قرآن وسنة، وآداب وأفكار، وحكم وأخلاق.. فأما ما يوافقنا، ويلائم حياتنا وبيئاتنا، وتطلعاتنا وأهدافنا.. فيضم ويهضم ويؤخذ به، وأما ما دون ذلك فيطرح، ويُنبه إليه ويحذّر منه بشتى الوسائل والطرق، وهذا يقتضي أولاً: حصر ما عندنا، ودراسته، وتقويمه، وإبراز النتائج.. الأمر الذي يعني إحياء التراث جميعاً، بما أمكن من السرعة وبتضافر جهود الأمة حكومات وأفراداً أو إعطاء الأفضلية لهذا الإحياء..

تمكين أفراد الشعب والأمة، من هذه الينابيع الثقافية الغنية الأصلية.. بكل الوسائل والطرق والإمكانات، لأن الثقافة الحق، هي السبيل الأمثل لمعالجة تلك الرواسب والمخلفات الاستعمارية البغيضة.

---

١ الحجرات ١٢
٢ الجاثية ٢٣

III.VI.VII علاج مشكلة تغاضي الدولة، أو تساهلها بشأن هذه الظاهرة:

إن الدولة، بأجهزتها ومؤسساتها وإمكاناتها.. تعتبر مربية، وراعية مسؤولة عن رعيتها، ولا بد لها من أن تمارس دورها الكبير الموط بها، في علاج ظاهرة السكر والخدر، وأرى أن هذا الدور يتمثل في :

١) تسخير وسائل إعلامها جميعاً، للتوعية والتثقيف، وبيان أضرار وأخطار السكر والخدر، وغير ذلك من الظواهر الضارة الفتاكة بالصحة العامة.

٢) منع صناعة وزراعة المخدرات والمسكرات إلا لضرورة طبية، وصناعة دوائية.. ومنع استيرادها والتجارة بها.. تدريجياً، وعلى مراحل..

٣) تشديد الرقابة على ذلك وفرض عقوبات ومن الأقوم إقامة الحدود الشرعية على السكارى والمخدرين، بعد القبض عليهم للمرة الثالثة متلبسين بالمخالفة، أي: بعد وعظهم وإرشادهم وتوعيتهم، وتنويرهم وتنبيههم إلى العقوبة، أو الحد الذي تستوجبه المخالفة، في كل من المرة الأولى والثانية..

فإذا قبض عليه، في المرة الثالثة، وهو سكران أو متخدر.. في مكان عام، وشهد على سكره أو خدره شاهدان عارفان عدلان، أقيم عليه الحد الشرعي المفروض، أو وقعت عليه العقوبة المنصوص عليها في القانون، ولا فرق، في ذلك، بين غني وفقير، وشريف ووضيع.. وقد يعترف السكران أو المتخدر من تلقاء نفسه، فلا حاجة، حينئذ، لشاهدين وكذلك يعامل المخالف في مجال زراعة الممنوعات والتجارة بها..

IV.VI.VII علاج مشكلة انتقال عادات السكر والخدر وغيره بالوراثة:

سبقت الإشارة إلى أن الصفات الخُلُقية والنفسية والخلْقية، تنتقل، أو يمكن أن تنتقل بالوراثة، من الآباء والأصول إلى الأبناء والفوق، والعادة عندما تترسخ، تصبح خُلْقاً ثابتاً، وقد طرحنا –من قبل– السؤالين التاليين:

١ ماحيلة الذين يجدون أنفسهم، محملين بأوزار وأمراض الماضيين، من الآباء والأجداد؟

٢ وكيف السبيل إلى تغيير دمائهم، واستجابات أعصابهم، وردود أفعالهم..؟

الواقع أنه لا يستطاع، البتة، التخلص من جميع الأوزار والأمراض والعادات والأخلاق، التي آلت إلينا بالوراثة عن الآباء والأجداد.. ولكن يمكن التخفيف والتقليص من أثرها، والتعديل والتطعيم، وتوفير المقاومة.. وخاصة في هذا العصر، فالذي ورث الضعف والهزال، يستطيع بالغذاء الصحيح الملائم، والرياضة الخاصة الدائمة.. بلوغ الصحة والعافية والقوة..

والذي ورث مرضاً من الأمراض، كالسل والصرع.. يستطيع مراجعة المستشفيات والمصحات والمراكز المختصة لمعالجة هذا المرض –أو ذاك– إن لم يكن عُضالاً غير قابل للشفاء، وأكثر الأمراض أصبحت في هذا العصر، ولا سيما في الدول المتقدمة –قابلة للعلاج والشفاء، وأما المستعصي منها، ففي

طريق الإخضاع للعلاج، لأنه ((ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء))[1]، كما يقول الحديث الشريف ولكن ينبغي البحث عن الوسائل والأسباب، وعد التواكل واليأس والإهمال..

ومن ورث عادات سيئة ضارة، يستطيع أن يستبدل العادات حسنة نافعة، بالمرأة والمحاولة والتدرب والتدرب والاستمرار.. وبالعزيمة الصادقة والإرادة القوية..

ومن ورث الضخامة والسمنة، يستطيع تخفيفها بالحمية (الريجيم)، والتغذية المحسوبة المقننة، وبالرياضة والحركة والعمل الكثير المنتج..

ومن ورث النحافة والرقة، يستطيع كذلك اكتساب القوام المعتدل، والعود الحسن، بالغذاء الكافي المتوازن، والرياضة الخاصة المناسبة.. ومن ورث الحمق، أو الجهل، أو الجبن، أو الدناءة.. فعليه بتكلف أضدادها، وهي: الحلم والعلم والشجاعة والرفعة، فقد قيل إنما الحكم بالتحلم، والعلم بالتعلم، والشجاعة بالتشجع، والرفعة بالترفع...حتى تصبح هذه الصفات عادات راسخة، وصفات ثابتة في الشخصية الساعية نحو الكمال.

وعلى ذلك نستطيع أن نقيس الأمور بأمثالها وأشباهها، ونمضي على هذه الوتيرة.. وقد نص الله تعالى في كتابه العزيز: ((إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم))[2].

V.VI.VII أما علاج البطالة والجهل والأمية، والتدين الخاطئ، فقد سبق تناوله في بحث الطلاق..

الدعارة والعهر

La de'bauche et & le libertinage

وصف وفرز: في المعجم نجد: دَعَرَ ودَعرَ يَدْعَرُ دعارة: فَجَرَ، وتَدَعَّرَ: خَبُثَ، والدعارة: الخبث والفسق والفساد. وعَهَرَ، وعَهرَ يعْهَرُ عَهْراً وعهْراً وعهوراً وعهارة وعُهورة – المرأة: أتاها للغجور، العاهر: للمذكر والمؤنث: الزاني والزانية.

فالمعنى المشترك لهذه الألفاظ جميعاً هو الفجور والزنى والمنكر المتعلق بالجسد، واستحصال اللذة والمتعة بطرق غير مشروعة، تؤدي إلى فساد العلائق الاجتماعية، وفساد النسل والذرية، وانتشار الأمراض وانتقالها، وقتل معاني الكرامة والمروءة، والشرف والطهر.

فالمجتمعات والأديان جميعاً وعلى تطاول الأزمنة، واختلاف الأمكنة، انكرت واستقبحت الفجور والزنى واحترمت وقدّست العفة والطهر والصيانة، وعرفت مساوئ وعواقب الأول ومحاسن ومنافع الثاني.. وقيل الكثير الكثير في ذلك.

[1] تتمة "علمه من علمه، وجهله من جهله" البخاري ومسلم، انظر (قبس من نور محمد(ص) صـ٤٢٤
[2] الرعد١١